والمرور من اتجاه قصر النيل يحري المبادرة في فتحها بما لا يجري توصيلها الآن إلى قصر النبل بل فقط يكون ابتداها من نقطة تقاطع الشارعين المحكي عنهما نحو الأربعة مفارق المقابلة إلى قصر النيل». وثانيهما يخص: «السكة المصمم عليها من الأربعة مفارق التي أمام قصر النيل يجري المبادرة في إعمالها أيضا وتسمى سكة سليمان باشا، وهذه السكة يكون ابتداها مارة من الأربعة مفارق لحد قصر النيل».

ويحسن بنا ألا نخلط بين شارع قصر النيل القائم حاليا والذي أصدر إسماعيل أمرا بإنشائه لاحقا، وقصر النيل وهو قصر فعلي أقامه عباس الأول ـ عم إسماعيل ـ على شاطئ النيل، ثم تحول بعد الاحتلال إلى ثكنات للقوات البريطانية. ثم رحل الإنجليز وهدم القصر والثكنات وأقيم مكانهما مبنى الجامعة العربية وفندق هيلتون التابع للشركة الأمريكية المعروفة. الفندق والجامعة يشرفان على النيل من ناحية، وعلى ميدان التحرير (الإسماعيلية سابقا) من ناحية أخرى.

من هذا الميدان، سمعت للمرة الأولى صوت طلقات نارية. كانت الشرطة تطلق النار على المتظاهرين من الطلبة والعمال. ورغم هذه السابقة المبكرة (فبراير ١٩٤٦)، لا أعتقد أنني تنبّهت لما يدور حولي إلا بعد خمس سنوات، وقد أصبحت أخبار المقاومة الشعبية الدائرة في منطقة القنال موضوعا للحديث العام، في البيت والشارع والمدرسة، بل إن طالبا في مدرستنا (لا يكبرني سوى بعام واحد) حاول التسلل منفردا إلى منطقة القنال، فأعادوه. وعندما تحلّقنا حوله في فناء المدرسة، وألححنا عليه في معرفة ما جرى، حكى ثم اختنق صوته وانتحب، فبكينا. الأخبار الواردة من جهة القنال تثير غضبنا وخيالنا، وتداعب رغبتنا في إنجاز أعمال بطولية، وتعوض بشكل لا نعيه إحساسنا بالقهر. نتناقل بشكل يومي تقريبا حكايات هذه المقاومة: كيف اضطر الجنرال إرسكين قائد القوات البريطانية في منطقة القنال إلى خطف قفص طماطم من